دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	أثر البيئة العربية في الدرس النحوي من النشأة إلى النضوج
المصدر:	المجلة العلمية لكلية التربية
الناشر:	جامعة الوادي الجديد - كلية التربية
المؤلف الرئيسي:	المهدي، يحيى بن محمد بن علي
المجلد/العدد:	ع6
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2012
الشهر:	مايو
الصفحات:	9 - 43
رقم MD:	1157683
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	EduSearch
مواضيع:	اللغة العربية، النحو العربي، البيئة العربية، اللغة والبيئة
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1157683

© 2022 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

أثر البيئة العربية في الدرس النحوي من النشأة إلى النضوج

بحث مقدم إلى مجلة كلية التربية بالوادي الجديد

جامعة أسيوط

إعداد:

د. يحيى بن محمد بن علي المهدي

نائب عميد كلية العلوم الإدارية والإنسانية بجامعة العلوم والتكنولوجيا (اليمن)

تمهيد :

اللغة ظاهرة إنسانية تستخدمها كل المجتمعات؛ للتعبير عن أفكارها ورغباتها وتوصيلها إلى الآخرين؛ لغرض قضاء الحاجات والمصالح.)

ويؤكد علماء النفس والاجتماع أن للبيئة بمكوناتها المختلفة أثراً واضحاً على الفرد في شتى الجوانب الشخصية، سواء شكلية كانت أم مضمونية.

وبما أن البيئة مكونة من عدة عناصر مختلفة بعضها يمتلك صفة الحياة، وبعضها الآخر يفتقدها –فإن لكل من هذه العناصر أثراً ملحوظاً على الأفراد..

فإذا كانت بعض المواصفات في البيئة مما لا يمتلك صفة الحياة؛ كالجبل، والسهل، والبحر، والصحراء..–إذا كان لكل ذلك تأثيرٌ بالغٌ على الإنسان في سماته، في طبائعه، في أحاسيسه، في مشاعره ،بل في شتى جوانب شخصيته[1]– فإن المكونات الحية للبيئة؛ كالطير، والشجر، والحيوان، والإنسان– ستكون –بلا شك– أكثر تأثيراً على من يقطن هذه البيئة، وسيظهر ذلك جليًا في تعامله، وفي أدائه، وفي قناعاته، وفي رؤاه، بل في نتاجه كله، لاسيما إذا أخذنا بعين الاعتبار أن ثقافات الشعوب تنطوي على مضامين ثقافية مرتبطة ومتأثرة ومؤثرة في هذه المكونات.

فلا بد من التركيز على الأثر البيئي في الدراسات اللغوية والأدبية، الذي ينبئ عن إدراك واع بالأهمية البالغة التي تمثلها البيئة بكل مكوناتها في توجيه الدراسات اللغوية المتعلقة بها بشكل عام، وتحديد القواعد التي تحكم البنية التركيبية لأساليبها

[1] –فطبائع الجبلي قد تختلف كلياً عن طبائع السهلي ،وطبائع أهل الصحراء تختلف عن طبائع قاطني السهول (مرتادي البحار)؛ فاولئك كثيراً ما يتسمون بالشدة والغلظة والقسوة،وهؤلاء يتسمون باللين والرقة والتحبب .

اللغوية بشكل خاص، والتي تتجسد في شكل قوالب لغوية كاملة تتحكم في طرائق التعبير، وأساليب الخطاب القائمة بين أفرادها.

الأثر البيئي في الدراسات اللغوية بشكل عام:

وتعد اللغة من أعظم الاكتشافات التي عرفها الإنسان على مر العصور، وهي في حد ذاتها ضرورة ملحة من الضرورات البيئية اللازمة لتسيير حياة الأفراد الذين تجمعهم وحدة المكان والزمان (وحدة البيئة الاجتماعية)؛ ولذا فقد نشأت اللغة باتفاق جمعي نتيجة حاجات الفرد والجماعة، وهي أحد العوامل المؤثرة في المجتمع والمتأثرة به، فتبقى ببقائه وتزول بزواله، كما أنها قطعة من الحياة التي نشأت فيها، وسارت معها، وتغذت بغذائها، ونهضت بنهوضها ،وركدت بركودها.

فاللغة كائن حيّ يزدهي ويتطور بتطور الحياة، ودراسة اللغات، ووضع قوانينها، وتتبع أصولها، وتطور تراكيبها، واختلاف صيغها، لا يمكن فهمه إلا من خلال البيئات الاجتماعية التي نشأت فيها وتطورت من خلالها، بل أصبح هذا الارتباط البيئي للغة ودراساتها من القوانين اللغوية التي تتصف بشيء من الصدق والعموم، كقولهم : «"إن اللغة لا تنشا إلا في مجتمع "و"إن اللغة لا تستعمل إلا في مجتمع " و"إن الكلام يختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية في المجتمع الواحد في العصر الواحد "»[٢].

وقد حظيت دراسة اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية ،ومكوناً من أهم مكونات البيئة الثقافية باهتمام خاص ونوع من الاستقلالية في البحث والتناول ،فأصبح لها علمٌ معترف به يطلق عليه مصطلح " علم اللغة الاجتماعي " (Sociolinguistics)، "وهو العلم الذي يدرس اللغة في علاقاتها بالمجتمع، وينظم كل جوانب اللغة وطرائق

[٢] – علم اللغة –(مقدمة للقارئ العربي) محمود السعران،دار النهضة العربية –(بيروت –لبنان) (د.ت) ،ص: (١٣).

استعمالها التي ترتبط بوظائفها الاجتماعية والثقافية" [٣]، فتكمن وظيفة هذا العلم في البحث عن الكيفيات التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع، والنظر في التغيرات التي تصيب بنية اللغة وتركيبها؛ استجابة لوظائفها الاجتماعية المختلفة، مع بيان هذه الوظائف وتحديدها.

وقد اجتهد كبار علماء اللغة من أمثال :"فردينان دي سوسير، وفندريس، وفيرث، ومايه، وهاليدي، ومالينوفيسكي، ويسبرسن، وفلمور، وهاريس، وكادرنر، وغيرهم.." في إنشاء هذا العلم؛ فاتجهوا بتفكيرهم نحو دراسة اللغات دراسة وصفية باعتبار اللغة ظاهرة اجتماعية، ورأوا أن اللغة في جوهرها نظام من الرموز الصوتية، أو مجموعة من الصور اللفظية تختزن في أذهان أفراد المجموعة اللغوية، وتستخدمها للتفاهم بين أبناء مجتمع معين، ويتلقاها الفرد عن الجماعة التي يعيش فيها عن طريق السمع.

ويطمح هؤلاء العلماء من خلال " علم اللغة الاجتماعي " إلى اكتشاف الأسس أو المعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك اللغوي؛ مستهدفين إعادة التفكير في المقولات والفروق التي تحكم قواعد العمل اللغوي، ومن ثم توضيح موقع اللغة في الحياة الإنسانية.

---

[٣] – لا يتسع مقام البحث لبسط هذا الموضوع، وللمزيد.. يمكن الرجوع إلى:

أ) في علم اللغة العام، د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة (بيروت– لبنان).

ب) اللغة والمجتمع، د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر (القاهرة– مصر).

ج) علم اللغة الاجتماعي، كمال محمد بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت).

د) اللسانيات الاجتماعية عن العرب، د. هادي نهر، دار الأمل للنشر والتوزيع، (اربد– الأردن).

هـ) اللغة والمجتَمع، د.أحمد ماهر البقري، دار علاء الدين، دمشق / مركز الإسكندريّة للكتاب، (الإسكندرية– مصر).

و) اللغة والمجتَمع، د. علي عبد الواحد وافي، زهراء الشرق، (القاهرة– مصر).

ز) اللسانيات الاجتماعية عند العرب، د. هادي نهر، دار الامل (اربد– الأردن).

ح) علم الاجتماع اللغوي، د. سيد شتا، دار المطبوعات الجديدة (الإسكندرية– مصر).

ومما شجع على نشوء هذا العلم وتطوره أن تكونت قناعة لدى عدد كبير من الباحثين أن للغة استعمالات متنوعة، فهي وسيلة تعبير اجتماعي، وعلمي، وسياسي، واقتصادي، وثقافي؛ مما يحتم دراسة خصائص هذه الاستعمالات المختلفة ،ومعرفة أبعاد التكيف اللغوي مع مختلف الأغراض والمواقف.

ولا يمكن فهم اللغة وقوانين تطورها وسبر أغوارها ،وتحديث أساليب البحث فيها بمعزل عن حركة المجتمع الناطق بها ،لأن فيها من الإنسان فكره ،وطرائقه الذهنية ،وفيها من العالم الخارجي تنوعه وألوانه.

وهذه النظرة الاجتماعية إلى اللغة هي ما ارتكزت عليه المدرسة اللسانية الاجتماعية" بزعامة (فيرث)، التي تؤكد على الوظيفة الاجتماعية للغة، ومعالجة الظروف الاجتماعية التي تحدد المعنى، كما تؤكّدُ أنّ العلاقات النّحويّة أساس السياق الخارجيّ، ولولا القواعد النّحويّة لما تمكّنّا من بناء كلامٍ ذي دلالات اجتماعيّة؛ فهي ترى أن الإنسان ليس مفصولاً عن العالم الخارجي الذي يعيش فيه، إنه ليس إلا جزءًا منه[٤].

[٤] – انظر:

- J. R. Firth: Papers in Linguistics. P.١٨٤. London Oxford University. PRESS. .Amen House ١٩٦١ and ١٩٦٤ ، Reprinted ١٩٥٨ .First edition ١٩٥٧

- R. H. Robins: A Short history of Linguistics. P. ٢١٣ Longman's Linguistics Library Green and Co LTD. Second impression ١٩٦٩.

– علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط: ٤ سنة (١٩٩٣م)، ص: (٦٨).

- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة د. كمال بشر، مكتبة الشباب، ط: ١٠، سنة (١٩٨٦م)، ص: (٣٢).

ونحن نعلَم أنّ عبد القاهر الجرجاني عندما بنى نظريّة النّظم بناها على أساس العلاقات النّحويّة، فهي التي يُبْنى منها الكلام، ولولا المعاني النّحويّة التي هي أساس التّعليق، لَما استطعنا أن نضع دلالات الكلام في سياقها المناسب.

أثر البيئة العربية في الدرس النحوي من النشأة إلى النضوج:

والبيئة العربية ليست بمعزل عن غيرها من البيئات، فقد كان لها تأثيرها الكبير على النتاج الفكري والثقافي عند العرب منذ القدم، وما يزال هذا التأثير ماثلاً للعيان في الدراسات والبحوث التي ما نجد أغلبَها إلا انعكاسا للتأثير البيئي من قبل الأفراد المنتمين إليها، وذلك إذا تتبعنا هذا النتاج، وأمعنا النظر في مضامينه.

ومادام موضوعنا في هذا البحث يتركز على الحديث عن التأثير البيئي في الدراسات اللغوية العربية بشكل عام، وملامح هذا التأثير على الدراسات النحوية، أو الدرس النحوي بشكل خاص -فخليق بنا ونحن ندلف إلى روضة هذا الفن النضير -أن نتحدث عن الأسباب والحيثيات البيئية التي أدت إلى وضع "النحو" بوصفه علماً نشأ استجابة لدواع بيئية فرضتها ظروف معينة.

وهذا الحديث يسلمنا بالضرورة إلى بيان المراحل المتعددة التي اجتازها هذا العلم، حتى استوى قائماً ووصل إلى مرحلة النضوج والكمال، ومن ثم مرحلة البسط والترجيح.

ومن المعلوم أن اللغة العربية قد نشأت في أحضان بيئة جزيرة العرب خالصة لأبنائها، نقية سليمة مما يشينها من أدران اللغات الأخرى، فقد كان العرب يتكلمون

اللسان العربي، «وكان أهلها حريصين عليها ،فينطقون بها معتزين ، ويربون أولادهم على حبها وإجادتها»[٥].

فلم يكن ثمة حاجة-ابتداءً- إلى وضع قواعد تحكم طرائق أدائهم اللغوي؛ لأنهم كانوا «صادرين عن سلائقهم المكتسبة ... قبل أن يضعوا قواعد كلامهم ....، فالنحو كان معروفاً بالسليقة يصدر عنها العربي، ثم استخرجه النحاة فيما بعد»[٦]؛ فالنحو ما هو إلا تقليد ووصف لكلام العرب في صورة قواعد ثابتة وأصول محددة، والسليقة -منطقياً -تكون أولاً، ثم كتاب النحو ثانياً، ثم الأصول التي توضع وفقاً لها تلك الكتب تكون ثالثاً.

وقد أسهمت منتدياتهم الأدبية التي كانوا يقيمونها في أسواقهم الشهيرة (عكاظ ،ومجنة ،وذي المجاز)- أسهمت في تثبيت اللغة العربية وإحكام رسوخها وجودة صقلها[٧]، بل وكانت سببا مهماً في إيجاد لغة مشتركة تجتمع عليها كل قبائل العرب..

وظلت البيئة العربية كذلك محافظة على اللغة الأم بعيداً عن التأثير بأي لغة دخيلة، حتى قوي عُودُها، فأصبحت عميقة الجذور، وارفة الظلال باسقة الأفنان..، ولا غرو فقد كانت اللغةُ العربية الدوحةَ الشامخة في رياض اللغات السامية، وما تزال..

وقد حافظت العربية على نضارتها وحيويتها وقدرتها على العطاء والإبداع، في وقت ذبُلت فيه شقيقاتها الساميات، وأفل نجمُها؛ كالأكادية، والبابلية، والآشورية، والأوغاريتية، والفينيقية، والآرامية، وغيرها من اللغات..

---

[٥] مباحث في اللغة العربية، د.عبد الستار عبد اللطيف أحمد سعيد، منشورات الجامعة المفتوحة (طرابلس - ليبيا)،ط(٣)(١٩٩٦م)، ص: (٣)

٦ -دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتعقيدها، لطيفة إبراهيم النجار، دار البشير (عمّان)، ط: (١)(١٤١٤،١هـ-١٩٩٤م)، ص: (٩)(من تصدير للكتاب للأستاذ الدكتور/ نهاد الموسى).

[٧] -نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ،الشيخ /محمد الطنطاوي ،ط(١) (القاهرة)ص: (٧).

وإذا كانت العربية في أصلها قد حافظت على هذه السمات والخصائص..، إلا أن أصحابها – وفي ظروف بيئية معينة– بدأوا يخطئون (يلحنون) بشكل واضح فيها؛ نتيجة لاختلاطهم الكبير بغيرهم من الأجناس التي دخلت في دين الله أفواجاً بعد سطوع نور الإسلام خارج حدود جزيرة العرب، « فكثر اللحن، وكثر اللحَّانُون، وامتد أثرهم إلى العرب الخلص في الحواضر والبوادي» [٨].

فأول ما اختل من كلام العرب وأحوج إلى التعلم: الإعراب؛ لأن اللحن ظهر – ابتداءً– في كلام الموالي والمتعربين، في العصر الجاهلي، ثم في عصر صدر الإسلام، إلا أنه لم تتهيأ البيئة المناسبة للبحث والتدريس إلا بعد الإسلام ، الذي أوجد قدراً كافياً من الأمن والاستقرار ، الذين هما أهم دعامتين لإنشاء الحضارة «فالعرب قبل الإسلام لم يحققوا حضارة راقية؛ لأسباب كثيرة تتصل بعناصر الزمان والمكان ...، لأن الطبيعة البيئية المتمثلة في البوادي والصحاري والأراضي القاحلة لا تساعد على حياة الاستقرار أو البحث» [٩].

ثم ما لبث أن انتشر اللحن بين عامة العرب إبان الفتوحات الإسلامية؛ إذ كان لزاماً على العربي أن يترفق بغير العربي، ويتريث معه في التخاطب؛ لضرورة التعاون بين الطرفين [١٠]؛ مما حدا بالعلماء وأولي الأمر من المسلمين أن يتنبهوا لهذا الخطر الداهم الذي يتربص بلغة القرآن والسنة؛ فنظروا في اللحن وبغّضوا فيه، وحذّروا منه، ومضى العلماء في تقعيد قواعد النحو بما هدوا إليه، قال "ابن خلدون": « وخشي أهل العلم منهم أن تفسد تلك الملَكةُ رأسًا، ويطول العهد بها؛ فينغلق القرآن والحديث على الفهوم؛ فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه

[٨] –المفيد في المدارس النحوية ،إبراهيم عبود السامرائي ،عاصم للطباعة والنشر (الحديدة –اليمن) ط(١)(٢٠٠٣م)،ص: (٤).

[٩] اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، د.أحمد محمد قدور، دار الفكر المعاصر (بيروت .دمشق)،الطبعة: الأولى (١٤٢٢-٢٠٠١م)، ص: (٥٧).

[١٠] –انظر:نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ،مرجع سابق ،ص: (٨، ٩).

الكليات والقواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام، ويُلحِقون الأشباه بالأشباه؛ مثل أن الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، والمبتدأ مرفوع. ثم رأو تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات؛ فاصطلحوا على تسميته إعراباً، وتسمية الموجِب لذلك التغير عاملاً، وأمثال ذلك.. وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم، فقيدوها بالكتاب، وجعلوها صناعة لهم مخصوصة، واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو» [11].

لعل لغة من اللغات لم تعرف عناية بنحوها كما عرفت ذلك لغتنا العربية ،فقد توفرت منذ أوائل القرن الثاني للهجرة صفوة من العلماء ذوي النظر الثاقب والحس اللطيف على وضع أصول هذا العلم وقواعده.

وهناك روايات عدة للمواقف والأسباب التي أدت إلى وضع النحو ليس هذا البحث موطناً للبسط فيها، فموضعها كتب نشأة النحو والمدارس النحوية [12].

وأياً كانت الروايات عن الأسباب والدواعي لوضع علم النحو، فإنها تؤول إلى سبب واحد مركب، هو دخول اللحن إلى لغة العرب، وخوف العلماء وأولي الأمر من تسرب عدْواهُ إلى القرآن الكريم، «ويكاد الدارسون يجمعون على أن النحو العربي نشأ لحفظ القرآن من "اللحن"، وهم يقدمون في ذلك روايات كثيرة ،عن الأبي الأسود الدؤلي وصنيعه في النحو من أنه نفسه وضع النحو، أو أنه أخذه عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين وضع له أبواباً وقال له: "انحُ هذا النحو"... إلى آخر تلك الروايات..»[13]، التي دلت على أن "أبا الأسود" قد قام بما عُهد إليه خير قيام، وكان

---

[11] -مقدمة ابن خلدون ،ج١، (د.ت)، ص: (١٥٢، ١٥٣).

[12] -يمكن الرجوع -على سبيل المثال لا الحصر -إلى :نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ،محمد الطنطاوي ص: (١٠،٩)، والمفيد في المدارس النحوية ،د/إبراهيم عبود السامرائي ص: (٤-٩)، وللمزيد.. يرجى مراجعة : سبب وضع علم العربية للسيوطي ،ومقدمة ابن خلدون /باب قصة نشأة النحو ،وأشباهها ..) .

[13] دروس في المذاهب النحوية، د.عبده الراجحي، دار النهضة العربية، (بيروت- لبنان) ط: ١٩٨٠م، ص: (٩).

عمله هذا يمثل الخطوة الأولى في عمل النحو، وله الفضل الوافر في بدء الغرس الذي نما وترعرع وازدهر على مر العصور بإضافة اللاحق إلى السابق ما ستدركه وما ابتدعه.

من خلال ما سبق يتضح لنا أن علم النحو ما جاء إلا استجابة لدواع بيئية فرضتها الحياة الجديدة؛ لأنه « لما امتد نفوذ العرب إلى خارج بلادهم انتشرت العربية معهم، فكانت في "أصبهان " و"شيراز" كما كانت في "دمشق"و"بغداد"، وكانت في "قرطبة" و"الحمراء" كما كانت في "القاهرة " و"القيروان "»[١٤].

ونتيجة لدخول كثير من الأعاجم في الإسلام، كان لا بد من التعامل معهم، والرفق بهم، ونشأ- تبعًا لذلك- أحوالٌ جديدة في واقع اللغة، ما كان العربُ يعهدونها من قبل؛ نظرًا للاحتكاك الديني، الناشئ عن رغبة العرب المسلمين في نشر دينهم إلى الأقوام المختلفة، وازدهار العلاقات التجارية، والثقافية، والاجتماعية، وغيرها؛ مما أدى إلى احتكاك لغوي مباشر بين المسلمين من العرب وإخوانهم من العجم.

وبما أن اللغة كائن حي يؤثر ويتأثر، فقد بدأ العرب يخطئون في لغتهم، وكانت الخشية الكبرى من الخطأ في فهم القرآن؛ مما قد يتسبب في استغلاق الفهم لأحكام القرآن ومضامينه، فاضطر العلماء إلى وضع تشكيل للكلمات، وهو ما نسميه وضع العلامات الإعرابية، وهي أهم ما يدور عليها الدرس النحوي.

«ومن الواضح أن الحركات الاصطلاحية أخذت عن أبي الأسود ...،ولم يكن هذا العمل يهدف إلى حفظ النص من اللحن فقط كما وقر في الأذهان، وإنما كان يهدف إلى غاية أبعد في أصول الحياة الإسلامية؛ ذلك أن المسلمين عرفوا -بداية- أن عليهم أن يقرؤوا القرآن، وأن "يفهموه" لأنه هو الذي ينظم حياتهم، ومن ثم نستطيع تفسير

١٤ -مباحث في اللغة العربية، د.عبد الستار عبد اللطيف، مرجع سابق، ص: ٣.

نشأة الحركة العقلية العربية كلها بأنها كانت نتيجة نزول القرآن الكريم ،فهي كلها من نحو وصرف وبلاغة وتفسير وفقه وأصول وكلام تسعى إلى هدف واحد هو "فهم" النص القرآني» [١٥]؛ فكانت الحاجة ماسة إلى فهم مناحي التركيب اللغوي ليصار إلى التعامل مع القرآن والاستنباط من أحكامه.

فالنحو إذن نشأ "لفهم القرآن "..، وفرق كبير بين علم يسعى "لفهم " النص، وعلم يسعى "لحفظه" من اللحن ،«ولو كانت الغاية منه حفظ النص من اللحن[فحسب]، لما أنتج العرب هذه الثروة الضخمة في مجال الدرس النحوي، ومحاولة "الفهم" هذه هي التي حددت مسار المنهج؛ لأنها ربطت درس النحو بكل المحاولات الأخرى التي تسعى لفهم النص، ومن ثم فإن دراسة منهج النحو عند العرب لا تكون صحيحة إلا مع اتصالها بدراسة العلوم العربية الأخرى وبخاصة الفقه، والكلام، [وغيرها]..» [١٦]، وهذا يدفعنا إلى معرفة العلوم التي كانت سائدة في البيئة الإسلامية، والتي تأثر بها الدرس النحوي في مراحل تطوره المختلفة من نشأته إلى نضوجه.

وقد تأثر الدرس النحوي العربي بعدة علوم إسلامية، من أهمها: القراءات القرآنية، فقد كان النحو العربي وثيق الصلة بالقرآن الكريم، فلغته هي معجزة الدراسات اللغوية، ويعد القرآن أول المصادر التي استقى منها النحويون شواهدهم، واعتمدوا عليها في تقرير القواعد الصرفية والأحكام النحوية، يقول الراغب الأصفهاني: «وألفاظ القرآن هي لب كلام العرب، وزبدته، وواسطة كرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم» [١٧].

---

[١٥] دروس في المذاهب النحوية، د.عبده الراجحي،مرجع سابق، ص: ١٠.

[١٦] المرجع السابق، ص: (١٠).

١٧ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط/ محمد سيد كيلاني، دار المعرفة (بيروت)(د.ت)، ص: ٦.

ولا ينبغي أن يغيب عن بالنا أن عددًا غير قليل من كبار علماء النحو ودهاقنته، هم أنفسهم من القراء المشهورين؛ فـ"أبو الأسود" كان من أئمة القراء، و"ابن أبي اسحق الحضرمي"، و"عيسى بن عمر" كانا من القراء، ويعد "أبو عمرو بن العلاء"، إمامَ البصرة في القراءة، وأحد القراء السبعة، وكذلك "الكسائي" في الكوفة[١٨]، وهما من أشهر علماء المدرستين في النحو كذلك.

ومما يدلنا على أن النحو نشا متأثراً بالقراءات القرآنية، أن القراء من تلاميذ أبي الأسود الدؤلي أمثال يحي بن يعمر (ت،٢٩، او ١٣٢هـ) وعنبسة الفيل (ت:١٠٠هـ) وميمون الأقرن ،ونصر بن عاصم (٩٨هـ أو ٩٦هـ،وعبد الرحمن بن هرمز (ت:١٧هـ)كانت لهم الملاحظات الأولى في النحو[١٩].

ولإدراك علماء النحو أهمية القرآن الكريم، ومكانته اللغوية- فقد كان أهم مصادر استشهادهم واستدلالهم؛ حيث «أخذ النحويون بالشاهد القرآني بلا أدنى خلاف بينهم، لأنه من لدن حكيم (عليم)، وهو في أعلى درجات الفصاحة عندهم، ويمثل العربية الأصيلة، والأساليب العالية الرفيعة، وهو أبلغ كلام نزل، وأثق نص وصل»[٢٠]

كما اعتمد النحويون كثيراً على القراءات القرآنية في إثراء قضايا النحو العربي، وفك مسائله المستعصية؛ لأنهم كانوا يرون أن «القراءات القرآنية أوثق وأصح متناً وسنداً؛ ولذلك استند إليها النحاة في تقعيد الأصول، وضبط كثير من الفروع، وقد أكسبت اللغة مرونة واتساعاً»[٢١].

---

[١٨] يعد الكسائي هو أحد قراء الكوفة الثلاثة(عاصم، وحمزة، والكسائي)، ويعد المؤسس الحقيقي لمدرسة الكوفة.

١٩ انظر: القياس في الدرس اللغوي ، بحث في المنهج /طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية (ط٢)الإسكندرية (١٩٩٢)، ص: ١٨.

٢٠ -مصادر التراث النحوي ،محمود سليمان ياقوت ،كلية الآداب ،جامعة طنطا ،(٢٠٠٣م)، ص: (٧٤).

٢١ النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري،تصحيح ومراجعة ،محمد الصباغ ،دار الفكر (د.ت)، ص: ٩، ١٠.

وإذا كان جَمْعُ القرآن يمثل الخطوة الأولى في سبيل العناية بالقرآن الكريم، فإنَّ وَضْعَ علم النحو يمثل الخطوة الثانية في سبل المحافظة على سلامة أداء النص القرآني، بعد أن أخذ اللحن يشيع على ألسنة الناس. فتأكد لنا بذلك أنَّ القرآن الكريم كان الدافع الرئيس لعلماء السلف لوَضْع علم النحو والإعراب.

نخلص من كل ما سبق إلى أن البيئة الجديدة التي انتقل إليها المسلمون بعد الفتوحات الإسلامية فرضت عليهم –بحكم التأثير والتأثر الاجتماعي اللغوي– أن يتجهوا إلى تقعيد اللغة العربية.

ولما كانت بيئة العراق هي الأوفر حظاً؛ لاختلاط العرب بغيرهم من الأجناس، خاصة الفرس الذين كان لهم دور كبير في الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية– فقد أجمعت المصادر على أن هذه البيئة كانت مهداً لنشأة الدراسات النحوية، ومنطلقاً للباحثين فيها، والمنشغلين بقضاياها.

ويمكن إجمال هذه الدواعي البيئية التي أدت إلى نشأة النحو في العراق تحديدًا– على النحو الآتي :

١– كان العراق ملجأً للعجم قبل الإسلام، وملتقى العرب وغيرهم من الأجناس بعد الفتح الإسلامي؛ لرخاء الحياة فيه.

٢– تعد بيئة العراق أكثر البلاد العربية إصابة بوباء اللحن ؟ نظراً لهذا المزج الذي أشرنا إليه سلفاً فكانت أظهر بيئة انتشر فيها هذا الوباء الداعي إلى وضع النحو.

٣– وقوع العراق على حدود البادية، يهدد لغة العرب الأقحاح (الخُلّص) الذين يفِدون اليه لقضاء حوائجهم، ومابرحت لغتهم فضيحة؛ فيؤدي ذلك إلى إضعاف الهوية

العربية التي يعدها العرب من أخص خصائصهم، مما حدا بالعلماء إلى وضع قواعد ثابتة للغتهم تحفظ هذه الهوية، وتحافظ على أصولها المرتبطة بالدين.

٤- اتسم أهل العراق بكونهم ذوي عهد قديم بالعلوم والتأليف، ولهم فيها خبرة متوارثة[٢٢].

وبما أنّ لكل علم أطوار يمر بها كما يمر الحي بأطوار الحياة، فقد نشأ النحو أول أمره صغيراً بسيطًا؛ حيث وضع "أبو الأسود الدؤلي" (ت:٦٧هـ)منه ما أدركه عقله، ونفذ إليه تفكيره؛ فالبيئة إذ ذاك لم تكن قد اعتادت التأليف والبحث؛ لدرجة أن هناك من أنكر أن نشأة النحو بقواعده وأصوله تعود إلى عصر علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وأبي الأسود الدؤلي، زاعماً أن طبيعة هذا العصر وبيئته بدائية لا تهيئ لأصحابها أن يؤلفوا، ويقيسوا، ويضعوا القواعد والأصول[٢٣]، غير أن إجماع الروايات على "أبي الأسود" تدحض هذا الزعم، غير أن هذه الحفاوة الكبيرة، والاهتمام البالغ بأثر العامل البيئي- يدل دلالة واضحة على ما تحتله البيئة من أهمية للدرس النحوي منذ البداية.

وقد مر الدرس النحوي بمراحل اجتازها طبقاً لنواميس النشوء والتكوين، واستغرق هذا العلم وقتاً معتبراً حتى بلغ مرحلة النضج والكمال، «ولم يكتب له النماء الذي نراه الآن، والتفرع في البحث، والاحتجاج القوي، والقياس الدقيق، والنظر الثاقب،

٢٢ – انظر: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ،ص :١٢،والمفيد في المدارس النحوية ،ص: ١٤، ١٥.

٢٣ انظر: النحو العربي، د. مازن المبارك، دار الفكر، ط: (٣)، (بيروت- لبنان) (١٩٨١م)، ص: ٧.

والتعليل البارع إلا في القرن الرابع الهجري وما تلاه من قرون؛ إذ يُعدُّ هذا القرن أزهرى عصور الابتكار في تأليف النحو واللغة »[٢٤].

ويمكننا القول: إن الدراسات النحوية قد مرت في نشأتها بأربعة أطوار هي:

١- طور الوضع والتكوين، وهذا بصري بامتياز.

٢- طور النشوء والنمو، وتشترك فيه مدرستا البصرة والكوفة.

٣- طور النضج والكمال، وهو بصري كوفي أيضاً.

٤- طور الترجيح والبسط في التصنيف؛ ويمثل المرحلة النهائية لنشأة النحو، حيث انتشرت الدراسات النحوية خارج إطار المدرستين، شاملة البيئة الإسلامية كلها، وأهمها: (العراق- الشام- مصر- الأندلس).

ومن غير الممكن تحديد زمن دقيق لبداية كل طور ونهايته، «فإن الأطوار لابد من تداخلها، وسريان بعض أحكام سابقها على لاحقها، كما أنه لامناص من تسرب شيء مما في تاليها على بادئها، فغير ممكن أن يوجد الطور دفعاً، وإنما تلده المؤثرات التي تسبقه وتمهد له، وهي -بالطبع- في غيره، إلا أنها لما تكاثرت وتزايدت؛ حتى بدا للعلم بمقتضاه طابع آخر غير الطابع السابق عليه - استوجَبَت جعلَه في طور آخر جديد، ولا يكون ذلك التمييز الظاهر إلا بعد انقضاء زمن المداخلة بين الطورين »[٢٥]؛ ولذلك فليس في الاستطاعة وضع حد توقيتي لكل طور، فهي إلى التقريب أقرب منها إلى التحقيق.

[٢٤] - ظاهرة الإعراب في النحو العربي ،أحمد سليمان ياقوت ،ديوان المطبوعات الجامعية (الجزائر)،ط(١٩٨٣)،ص:١٥٦.

[٢٥] -نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، مرجع سابق، ص:٢١.

وتعد البصرة أسبق مدن العراق اشتغالاً بالنحو؛ حيث احتضنت النحو زهاء قرن من الزمان[٢٦]، في الوقت الذي كانت فيه الكوفة منصرفة عنه بما يشغلها من رواية الأشعار والأخبار، والميل إلى التندر بالطرائف والملح والنوادر[٢٧] .

وهناك أسباب وعوامل بيئية –أدت إلى اشتغال أهل البصرة بالدرس النحوي قبل أهل الكوفة بمائة عام تقريباً أهمها [٢٨].

العامل السياسي :

حيث كانت البصرة عثمانية أموية، والكوفة علوية عباسية؛ مما دفع الأمويين إلى الاهتمام بالبصرة وأهلها إبان حكمهم، وقد سادها استقرار وطمأنينة وهدوء؛ شجع على اهتمام علمائها بالدرس اللغوي عموماً، والدرس النحوي خصوصاً .

٢-الموقع الجغرافي :

فالبصرة تقع على طرق البادية مما يلي العراق؛ فهي أقرب مدن العراق إلى البيئة العربية الأصيلة التي يقطنها العرب الأقحاح الذين لم تلوث لغتهم بعامية الأمصار، فعلى مقربة منها بوادي نجد من الغرب، والبحرين من الجنوب، والأعراب يفِدون إليها منهما، فهذه البيئة المثالية مكنت أهل البصرة أن يأخذوا عن العرب دون أن يتكلفوا عناء السفر.

[٢٦] –المفيد في المدارس النحوية ،مرجع سابق، ص:١٥.

[٢٧] –نشأة النحو،وتاريخ أشهر النحاة، سابق، ص :٢١.

[٢٨] –انظر: المفيد في المدارس النحوية، سابق، ص:١٦-١٨.

٣-قرب سوق المِرْبَد من البصرة :

فكان ينعقد في البصرة مجالس للعلم والمناظرة، ويفد إليها الشعراء ورواتهم، وينزل فيها العلماء والأدباء والأشراف للمذاكرة والرواية، وكان اللغويون يأخذون اللغة عن أهلها، ويدوّنون ما يسمعون؛ فيأخذ عنهم النحويون ما يصحح قواعدهم.

فهذا العامل الثقافي وغيره من العوامل البيئية الأخرى المشار إليها- كان لها أثرها الواضح في سبق البصرة للاشتغال بالدرس النحوي، والانطلاق في الدراسات النحوية قبل غيرها.

وكما أن هذه العوامل والظروف البيئية السابقة قد أنالت البصرة قصب السبق في الدرس النحوي- فقد كان لها أيضًا تأثيرها الكبير والواضح في تحديد المنهج الذي سارت عليه مدرسة البصرة في دراساتها النحوية؛ حيث اعتمد البصريون في مادة منهجهم العلمي على الأفصح من الألفاظ، والأسهل منها على اللسان..

ولعل في هذا التوجيه انعكاساً لبيئة البصرة التي كانت ملتقى لكثير من الثقافات والأعراق؛ مما دفع البصريين إلى اختيار الأسهل على اللسان، دونما تفريط في طريقة الأخذ والاحتجاج، أو نوعية الشواهد المأخوذة ؛ «ولذلك اختاروا من بين القبائل التي اعتمدوا عليها القبائل المقطوع بعراقتها في العربية، والمصونة فطرتها من رطانة الحضارة الأجنبية »[٢٩].

٢٩ المرجع السابق، ص:٢٠.

وبما أن النحو- كما يقول "ابن جني(ت:٤٢٠هـ)"- هو: « انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره ... ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شَذَّ بعضُهم عنها رُدّ به إليها»[٣٠]- فقد حدد اللغويون والنحويون رقعة الفصاحة وبيئتها زماناً ومكاناً:

فمن الناحية المكانية اعتمدوا على القبائل البدوية، جاعلين من لغة قريش حَكَماً ومرجعاً؛ لأنهم كانوا يرون أنها لغة العرب العامة، وذلك لما كان لقريش من نفوذ ديني وظروف بيئية معينة جعلت لغتها هي السائدة بين قبائل العرب ولغاتها، فقد«كانت قريش أجود العرب انتقاداً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وأبينها إبانة عما في النفس» [٣١].

وقد تفوقت البيئة البدوية على غيرها من البيئات العربية من جهة الفصاحة، فأهل البوادي أفصح الفصحاء؛ ولذلك فقد دأب أهل الحواضر على ابتعاث أبنائهم إلى البوادي؛ ليفصحوا بما يسمعونه من كلام بليغ، وما ذاك إلا لإدراكهم الواعي الأهميةَ البالغة للتأثير البيئي في الاكتساب اللغوي. وهذا ما فطن إليه النحويون واللغويون عند تقعيدهم للغة واستشهادهم بها؛ فسلكوا مسلكاً خاصاً في جمع اللغة، حيث رأوا أن في اتباعهم هذا المسلك سلامة اللغة، والحفاظ عليها، فأخذوا اللغة عن قبائل معينة، وتركوا ما سواها، فلم يأخذوا إلا عن القبائل السليقية الموغلة في الفصاحة، وحددوا أسماء كثير من هذه القبائل التي أُخذت عنها اللغة، فذكروا أن «الذين عنهم نقلت العربية وبهم اقتُدِي، وعنهم أُخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس، وتميم، وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم

٣٠ الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، عالم الكتب (بيروت- لبنان، ط(٣) (١٩٨٣)، ١/ ٣٤.

٣١ اللغة بين الوصفية والمعيارية،تمام حسان ،الأنجلو المصرية، ط: (١٩٥٨) ، ص: (٦٩، ٧٠).

أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم»[٣٢].

ولم يكن هذا التشدد في تحديد القبائل التي تؤخذ عنها اللغة إلا نتيجة لدواع بيئية' جعلت من هذه القبائل هي الأفصح؛ مما أهلها لتكون مصدر ثقة العلماء في عصور الاحتجاج.

فذهب النحاة واللغويون يجوبون البوادي؛ ليلتقطوا ما تبقى في أفواه الأعراب الضاربين في أوساط الجزيرة العربية وأطرافها، وأكثروا من الاتصال بهم والأخذ عنهم؛ «حتى كأنهم صاروا يؤمنون أنهم المصدر الأول والأخير للعربية، وكأن هؤلاء الأعراب صاروا يشعرون أنهم أساتذة لهؤلاء الأعلام»[٣٣]، الذين نشطوا في التقصي والاستقراء للمأثور عن العرب، وفي إعمال الفكر، واستخراج القواعد، وأفرغوا ما حملوا من حبر وصحف، وأتخموا ذاكرتهم بما حفظوا، فمنهم من أمضى أربعين سنة في البوادي يشافه الأعراب، ويدون ويلاحظ ما شاء له أن يلاحظ، قبل أن يعود إلى بلده.

وما نزول اللغويين والنحويين إلى البوادي لأخذ اللغة وتقعيد القواعد إلا دليل واضح على ارتباط اللغة بالبيئة التي نشأت فيها، وبالتالي لا يمكن للدراسات اللغوية أو النحوية أن تكون بمعزل عن الوسط الاجتماعي الذي تمثله، « ومن الملاحظ أن "سيبويه" كان ينظر إلى الكلام على أنه شكل من أشكال السلوك الاجتماعي، بآية أنه كان يحاكم (صوابيته) محاكمة ثقافية، ويطلق فيها أحكاماً أخلاقية؛ فهو حسن وقبيح

[٣٢] ذكر ذلك السيوطي نقلاً عن الفارابي في كتابه (الألفاظ والحروف)، انظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للعلامة / عبد الرحمن بن جلال السيوطي، شرح وتعليق/ محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية (صيدا-بيروت)، ط(١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م) ١/٢١١.

٣٣ العربية بين أمسها وحاضرها، د.ابراهيم السامرائي، طبعة وزارة الثقافة والفنون جمهورية العراق، دار الحرية للطباعة (بغداد) (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م)، ص: (١٦).

شأنه في ذلك شأن أنواع السلوك، ويلاحظ أيضاً أن "سيبويه" يترجح في التعبير عن النحو بين مفردات شتى مثل "الطريقة" و"السنة" و"المذهب" و"الوجه" ،ولكن مفردة "النحو" أكثرها عنده دوراناً»[٣٤]، وتشير هذه المفردات إلى أن "سيبويه" كان يعالج موضوعه على "طريقة العرب في كلامهم "، وفقًا لأداءاتهم اللغوية المدركة من خلال الملاحظة المباشرة.

فاستظهار ما يصدر عن العربي الأصيل في بيئته من كلام للمضي في دراسته، واستنباط قواعده وأصوله- هو ديدن النحويين ومجال عملهم ن وإلى هذا يشير الأستاذ الدكتور/ نهاد الموسى بقوله: «وقد هجس الخليل وابن جني على هذا الصعيد بملحظ غاية في الطرافة مؤداه أن عمل النحويين في وصف الظاهرة النحوية وتفسيرها هي الكشف عن قواعد السليقة التي كان العربي يصدر عنها في كلامه» [٣٥] ، وبيّن -بعد ذلك- التغاير الواضح بين منهجي "الخليل" و :ابن جني" في التعليل قائلاً: «ولكن "الخليل" كان أدنى إلي الاحتراس؛ إذ اعتدّ تعليله لمذاهب العرب في كلامهم افتراضاً ووجهاً ممكناً، أما "ابن جني" فتمسك بما لاحظه من جري العرب في كلامهم على سمت مشترك ونهج متعارف، واستظهر بذلك على أن قواعد النحاة وأصولهم منبئة عن مقاصد العرب في كلامهم،وكأنما أرادوا من العلل مانسبناه إليهم، وحملناه عليهم » [٣٦].

وتقول بعض الروايات بأن بيت أبي عمرو بن العلاء وصلت فيه الصحف حتى السقف وكلها عن الأعراب.

٣٤ نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث /د.نهاد الموسى/دار البشير (عمّان) الطبعة الثانية (١٤٠٨-١٩٧٨م)، ص: (٤٤).

٣٥ انظر: دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتعقيدها، لطيفة إبراهيم النجار، مرجع سابق، ص: (١٠) (تصدير: أ.د.نهاد الموسى).

٣٦ المرجع السابق، ص: (١٠).

كما حدد علماء اللغة العرب القدماء القبائل التي لم تؤخذ عنها اللغة، مبينين علة عدم الأخذ، وتناقلت ذلك كتب اللغة؛ حتى وصل إلى حد التواتر، ومن ذلك قولهم: «وبالجملة فإنه لم يؤخذ من حضري قط، ولا عن سكان البراري ممن يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم، فإنه لم يؤخذ لا من لخم، ولا من جذام؛ لمجاورتهم أهل مصر والقبط، ولا من قضاعة، وغسان، وإياد؛ لمجاورتهم أهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية، ولا من تغلب واليمن؛ فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا من بكر، لمجاورتهم للقبط والفرس، ولا من أهل اليمن؛ لمجاورتهم للهند والحبشة، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة، ولا من ثقيف وأهل الطائف؛ لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز؛ لأن الذين نقلوا اللغة صادفوا حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم، وفسدت ألسنتُهم» [٣٧]. و"الفارابي" هو من عد هذه القبائل التي لم يؤخذ عنها، وذكرها في كتابه "الألفاظ والحروف"، ونقلها عنه السيوطي في الاقتراح والمزهر، وكذلك نقلها أبو حيان في تذكرة النحاة.

من هذا النص يتبين لنا مدى حرص العلماء على سلامة اللغة، من ناحية المكان..

وأما من ناحية الزمان، فالناظر في الدراسات اللغوية العربية القديمة يرى أن النحاة واللغويين قد وقفوا عند فترة زمنية معينة، روى فيها العلماء ما استطاعوا روايته عن الأعراب في البوادي، وما حمله أهل البادية معهم إلى المدن العلمية، وكانت هذه

[٣٧] المزهر للسيوطي، مرجع سابق، ٢١٢/١.

المادة اللغوية تمثل _ في معظمها _ الواقع اللغوي في عصر الرواية والذي قبله، فنرى فيها الألفاظ والأساليب الشعرية الدالة على تلك الفترة[٣٨].

ومما يحمد للنحاة أنهم وضعوا أُطراً أسموها بأطر الاحتجاج، فكانت هذه كالسياج الذي لا يجوز أن يُتعدى إلى غيره، فحفظت حمى الاحتجاج من أن يداس .. ولم يأخذ النحاة عن أي وارد أو شارد من الأعراب، لكنهم أخذوا ممن يوثق بفصاحته ووضعوا شروطاً لهذه الفصاحة وهي أن يكون القائل عربياً فلا يؤخذ عن أعجمي، وأن يكون من قبيلة محددة، ثم كون القائل من عصر زمني ينتهي عند حد معين.

وكان على علماء اللغة والنحو أن يحددوا فترة ينتهي بها الأخذ عن فصحاء العرب، وبالفعل كان هناك تحديد لهذه الفترة ، وهي منتصف القرن الرابع الهجري – على الأكثر–، وهذه الفترة الزمنية سميت عند علماء اللغة بـ" عصور الاحتجاج".

وبناء على هذا التحديد الزمني لأخذ اللغة والاستشهاد بها على وجه العموم، فقد كان هناك تحديد آخر– تبعًا له– يتعلق بالاستشهاد بالشعر؛ حيث «كان وضع النحو داعية من دواعي جمع الشعر وتدوينه ودراسته »[٣٩]، فقسموا الشعراء إلى طبقات، وأوجدوا ميزات خاصة ومفاصل يتعرف العالم من خلالها على شعر كل طبقة؛ فقسموا الشعراء إلى أربع طبقات هي:

---

٣٨ وهناك من يرى أن النحاة واللغويين قد تشددوا في عدم الأخذ مما أطلقوا عليه عصور الاحتجاج بأطره المختلفة، فتركوا مادة ثرة، كان من الأولى عليهم روايتها على الأقل إن لم يريدوا الاستشهاد بها، وأخذ النحاة و اللغويون يستنبطون القواعد ولأحكام من مادتهم اللغوية التي أجمعوا وحكموا بالشاذ والنادر والقليل وحتى بالخطأ على ما لم ينطبق على هذه القواعد والأحكام، وهناك من يرى أنه لا بد من مراعاة التطور اللغوى..إلخ (نظر:

أ)عصور الاحتجاج: ص: (٢١٦ ، ٢٢٠، ٢٨٢).

ب) الاحتجاج بالشعر: ص: (١٠٤).

٣٩ الخصومة بين النحاة والشعراء(أسبابها وصورها)، د.محمد غالب عبد الرحمن وراق، (من منشورات نادي جازان الأدبي)، دار البلاد للطباعة والنشر (جدة)، الطبعة الأولى: (١٤١٩-١٩٩٩م)، ص: (٥).

١- ما قبل الإسلام أو الجاهليين.
٢- من عاشوا الجاهلية والإسلام وهم المخضرمون.
٣- الإسلاميون الذين ولدوا وعاشوا في الإسلام.
٤- المحدثون أو المولدون.

ولشعور العلماء بأن لغة الآباء والأجداد هي اللغة المثالية فإن هذا دفع بعض العلماء إلى أن يقلل فترة الاحتجاج، فكان "أبو عمرو بن العلاء" يعد الطبقة الثالثة التي تشمل جريراً والفرزدق والأخطل طبقةً مولدةً لا يحتج بشعرها فهو يقول: «لقد كثر هذا المُحدَث وحسن حتى لقد هممت أن آمر فتياننا بروايته»[٤٠]، فالدلالة الزمنية واضحة أشد الوضوح في لفظ "المُحدَث"؛ فمع إعجابه بهذا الشعر إلا أن الشعور بالولاء الكامل لما هو قديم منعه من الرواية، ثم جاء الأصمعي وأخّر فترة الاحتجاج، فشملت جريراً والفرزدق والأخطل، إلى إبراهيم بن هرمه (ت: ١٥٠ هـ)، واستقر الأمر على هذا النحو، وعَدّ ابن هرمة ساقة الشعراء، وبشار بن برد (ت: ١٦٧ هـ) أول الشعراء المحدثين.

وعند النظر إلى هذا التباين بين علماء النحو واللغة في تحديد الإطار الزمني للاحتجاج- نجد أن من أهم ما يتحكم في ذلك ويبعث عليه هو البيئة التي يصدر عنها هذا العالم أو ذاك؛ فزمن "أبي عمرو بن العلاء"(ت:١٥٤هـ)، و"الخليل"(ت:١٧٥هـ)، وبيئتهما البصرية المتشددة في طريقة أخذ اللغة والاستشهاد بها، واستنباط قواعدها، وما توافر لها من أسباب وعوامل مساعدة أشرنا إليها سابقًا - يختلف كثيرًا عما كان عليه الكوفيون من تأخر زمني، ومحاولة لاستدراك ما فاتهم، واختلاف بيئي واضح لم يتح للكوفيين ما أتيح للبصريين؛ ولذلك لم يتشدد الكوفيون في شروط الأخذ عن العرب للتوصل إلى القاعدة، وتوسعوا في الرواية، بينما كان نحويو المدرسة البغدادية يعتمدون

٤٠ مقدمة كتاب الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق/ محمد قميحة، (د.ت)، ص: (١٠).

على الانتقاء من المدرستين لما يتوافق مع اتجاه تفكير كل منهم؛ فأسهموا بمزيد من التوسع، والترجيح، والبسط، مثلهم في ذلك مثل المدارس الأخرى التي سنشير إليها عند بيان الأطوار التي مر بها علم النحو.

وكان علم النحو في عصرهم(أواخر القرن الثالث،ومطلع القرن الرابع الهجريين)- قد نضج، وقواعده قد تحددت؛ فاستقلوا بمنهجهم الخاص؛ وهذا يفسر الاختلاف الذي أوردناه سلفًا بين "الخليل" (البصري)، و "ابن جني" (البغدادي)، من أن الأول كان أدنى إلى الاحتراس والتدقيق -أو قل: التشدد- من الثاني، على الرغم من الميل الواضح لـ"ابن جني" إلى البصريين.

وكل ما سبق يسلمنا إلى النظر الدقيق في منهج كل مدرسة من مدارس النحو الشهيرة، خاصة مدرستي البصرة والكوفة، اللتين نشأ النحو، وتطور، ووصل إلى مرحلة النضوج والكمال على أيدي علمائهما، متعرضين للدواعي البيئية التي أثرت على الدرس النحوي في كل منهما.

أولاً: مدرسة البصرة:

الحديث عن مدرسة البصرة هو حديث عن النحو العربي منذ نشأته حتى عصرنا الحاضر، فالذي لاشك فيه أن النحو -بصورته المعروفة -نشا بصرياً وتطور بصرياً، وهذا الأمر أظهر من أن ينكر، فالبصريون هم الذين ضبطوا القرآن بالنقط، سواء من "أبي الأسود"(ت: ٦٧هـ) الذي يعدُّ رائد هذه المدرسة- بل رائد علم النحو-، أو من قبل "نصر ابن عاصم الليثي"(ت:٨٩هـ)، الذي يبدأ من عهده عصر الطبقة الأولى البصرية، وهذا لا جدال فيه؛فقد « سبقت البصرة إلى وضع النحو منذ القرن الأول للهجرة،واستمرت جهود المدرسة على أيدي أعلامها الأوائل: كـ"ابن أبي اسحق الحضرمي"[ت:١١٧هـ]، و"عيسى بن عمر الثقفي"[ت:١٤٩هـ]، و"أبي عمرو بن

العلاء"[ت:١٥٤هـ]، و"يونس بن حبيب""[ت:١٨٢هـ]، حتى كان "الخليل بن أحمد"[ت:١٧٥هـ] وتلميذه "سيبويه""[ت:١٨٨هـ] اللذان يعتبران بحق الواضعين للنحو العربي بصورته المعروفة»[٤١].

فأول ما نشأ علم النحو كان لضبط القرآن بالحركات الإعرابية؛ نظرًا لظهور اللحن، وحتى لا يستغلق فهم القرآن على الأذهان- كما أسلفنا-، وهذان سببان بيئيان بامتياز.

وقد اعتمد البصريون في مادة منهجهم العلمي على الأفصح من الألفاظ والأسهل منها على اللسان فاختاروا القبائل المقطوع بعراقتها في العربية، وكانوا يختبرون سلامة من يشكون في أمره ولو كان من القبائل الفصيحة، ولا يأخذون إلا برواية الثقات، الذين سمعوا اللغة من الفصحاء، عن طريق الحفظة والأثبات منهم.

كما اشترط البصريون الكثرة الكاثرة فيما ينقل عن العرب عند تقعيد قواعد النحو ابتداءً ثم يتدرجون إلى الكثير فالقليل إلى أن يصلوا إلى مرحلة القياس.

وكانت المصادر التي اعتمد عليها البصريون في دراستهم ووضع قواعدهم النحوية مرتبة كالآتي :

١- القرآن الكريم.

٢- الشعر العربي القديم؛ جاهليه وإسلاميه، وما أثر من الأمثال الجاهلية، وذلك حتى منتصف القرن الثاني الهجري.

ولم يعتمد البصريون كثيراً على الاحتجاج بالحديث الشريف؛ بحجة أنهم رأو أن قدراً كبيراً منه روي بالمعنى ولم يضبط بلفظه، وأن طائفةً كبيرة من المحدّثين لم يكونوا عرباً.

كما تشدد البصريون كثيراً في طرق الأخذ والاحتجاج وشروطه، وقد أشرنا إلى ذلك سابقاً، ولا يتسع المقام لبسط الحديث فيه هنا.

٤١ دروس في المذاهب النحوية، د.عبده الراجحي، مرجع سابق، ص: (١١).

ثانياً :مدرسة الكوفة:

لا تذكر مدرسة البصرة إلا وتذكر معها مدرسة الكوفة ،فقد كان لهما فضل تأسيس النحو وتطويره ، بل لعل ازدهاره في مراحله الأولى يرجع إلى ما كان بين المدرستين من تنافس شديد ارتفع إلى درجة الخلاف حول كثير من ظواهر العربية.

وكما أن البصرة قد سبقت إلى وضع النحو -كما أسلفنا- ، فإن «الكوفيين كانوا أسبق إلى بغداد عاصمة الخلافة من البصريين؛ لمكان الكوفة منها من الوجهتين السياسية والجغرافية، وكان علماؤها أسبق اتصالاً هنا بقصور الخلفاء»[٤٢]،وكان ذلك دافعًا كبيرًا لدخولهم بقوة في منافسة البصريين، فإن الكوفة ما لبثت أن دخلت ميدان علم النحو، ثم بدأت تتخذ لنفسها منهجاً خاصاً فيه حتى تشكلت لها مدرسة متميزة ،وحتى لا نكاد نجد مسالة من مسائل النحو إلا وفيها مذهبان، بصري وكوفي، بل لعلك تستطيع معرفة رأي إحداهما إذا وقفت على رأي الأخرى وحدها؛ لإدراكك وضوح منهج كل منهما.

ولما كانت الكوفة حاضرة للخلافة الراشدة إبان خلافة أمير المؤمنين "علي بن أبي طالب"رضى الله عنه، فقد هاجر إليها كثير من الصحابة في ذلك الحين وقبله، وازدهر فيها الفقه، وكثرت رواية الأشعار والأخبار، على أن أهم ما يميزها أنها كانت أكبر مدرسة لقراءة القرآن، ومنها خرج ثلاثة من القراء السبعة -كما ذكرنا-.

والقراءات -كما هو معلوم- علم يعتمد على الرواية ،ويعتمد على التلقي والعرض، وهو لا يقوم على منطق أو اجتهاد أو تأويل، ولكنه يتوقف أولاً و آخراً على الرواية. و"التلقي والعرض" هما أصح طرق النقل اللغوي، «ونحسب أن "القراءات" هي

٤٢ ابن جني النحوي، د.فاضل صالح السامرائي، دار عمار (عمان -الأردن) ط: (١) (٢٠٠٦م)، ص: (٩٩).

التي طبعت المدرسة الكوفية بطابعها في كثير من نواحي النشاط العقلي، وبخاصة في النحو.

من هنا نستطيع أن نفهم ما يقرره مؤرخو النحو من أن الكوفة توسعت في الرواية ،وبأنها كانت تعتمد المثال الواحد لتجعله ظاهرة عامة بحيث تستخرج منه القاعدة التي تراها صالحة للاستعمال»[٤٣].

فنظرًا لبيئة الكوفة التي انتشرت فيها الرواية؛ توسع الكوفيون في الرواية، فقبلوا كل مسموع، آخذين عن أهل الحضر ممن جاور المتحضرين من الأعراب، ولم يبالغوا في التحري كما أنهم لم يشترطوا للقياس كثرة كاثرة بل قاسوا على الشاهد الواحد وعدوا ما أوله البصريون أو اعتبروه شاذاً مقبولاً عندهم ومقيساً عليه؛ ولذلك «عنيت الكوفة بالاستقراء والأخذ عن الأعراب والاهتمام بالشواذ اللغوية والنحوية»[٤٤]. ومعلوم أن الخلاف بين البصريين والكوفيين كان خلافًا في منهج البحث والمقياس الذي يوضع أساساً للتوثيق اللغوي.

كما أن توسع الكوفيين في الرواية لم يكن لاستدراك ما فاتهم من الشواهد والاستدلالات الخاصة بقواعد النحو، التي سبق إليها البصريون فحسب –وإن كان هذا سببًا وجيهًا–، بل لرغبتهم في التوسع، فبينما رأينا البصريين يتشددون في المروي من الشعر الجاهلي والإسلامي، ويضيقون دائرته، «كان الكوفيون لا يتشددون في قبول المروي عن الشعراء الجاهليين والإسلاميين، ويعدون كل ما جاء عنهم حجة، فيعتدون بأقوالهم، ويؤسسون عليها نحوهم وقواعدهم»[٤٥]، وتطلعهم إلى تجاوز البصريين وتقدمهم عليهم في كثير من المسائل، وهذه فرضتها طبيعة البيئة التنافسية بين المدرستين.

---

[٤٣] دروس في المذاهب النحوية، مرجع سابق، ص: (٩٠).

٤٤ ١٤–الإيضاح في علل النحو، لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق مازن المبارك دار النفائس(بيروت– لبنان)، الطبعة الرابعة (١٩٨٢م)، (مقدمة أ.د.شوقي ضيف)، ص: (١).

[٤٥] الخصومة بين النحاة والشعراء(أسبابها وصورها)، د.محمد غالب عبد الرحمن وراق، مرجع سابق، ص: (١٧، ١٨).

وعلى كل فقد مر الدرس النحوي حتى وصل إلى درجة النضوج والكمال بعدة مراحل، تبعًا لظروف بيئة فرضها واقع الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية. وهذه المراحل تبدأ بالنشأة المتمثلة في الوضع والتكوين على أيدي الطبقتين البصريتين الأولى والثانية، ثم جاء الطور الثاني؛ الذي شكل مرحلة النمو والتطور المتسارع لعلم النحو، واشتركت فيه المدرستان، ومثلته ثلاث طبقات من كل مدرسة، ولم يكتمل هذا العلم وينضج إلا في الطور الثالث(طور الاكتمال والنضج) بجهود المدرستين معًا، وذلك بطبقتين من كل مدرسة؛ ليبدأ طور رابع يتمثل في البسط والترجيح والتوسع، والذي انضمت فيه إلى جانب المدرستين مدارس أخرى اكتفينا بمجرد الإشارة إليها لاحقًا؛ كونها لا تعنينا في هذا البحث.

واختزالاً للوقت يمكن بيان مراحل(أطوار) نشأة النحو الثلاث الأولى مع طبقاتها من خلال الهيكل الآتي:

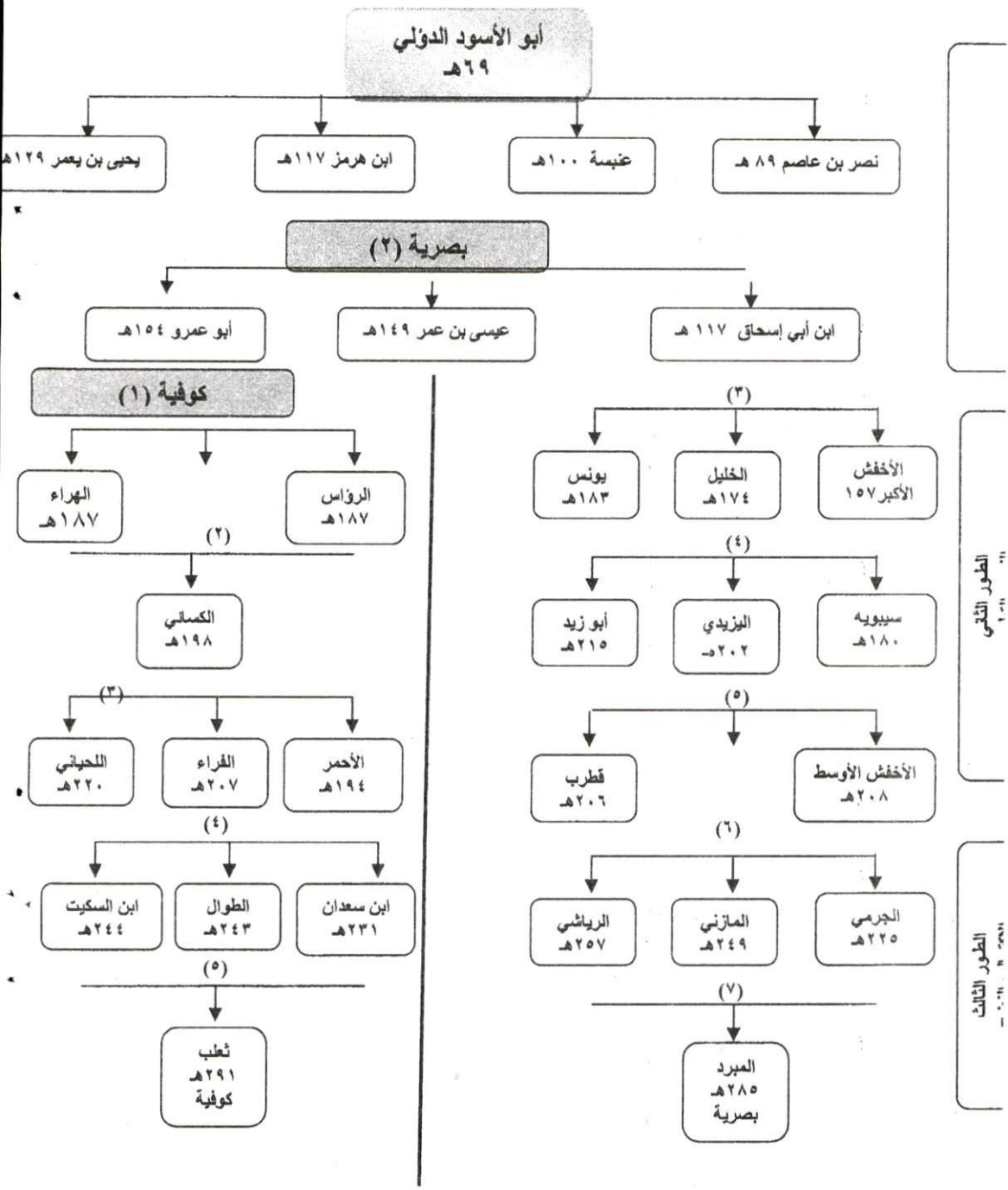
أبو الأسود الدؤلي
٦٩هـ
نصر بن عاصم ٨٩ هـ
عنبسة ١٠٠هـ
ابن هرمز ١١٧هـ
يحيى بن يعمر ١٢٩هـ
بصرية (٢)
ابن أبي إسحاق ١١٧ هـ
عيسى بن عمر ١٤٩هـ
أبو عمرو ١٥٤هـ
كوفية (١)
(٣)
الأخفش الأكبر١٥٧
الخليل ١٧٤هـ
يونس ١٨٣هـ
(٤)
سيبويه ١٨٠هـ
اليزيدي ٢٠٢هـ
أبو زيد ٢١٥هـ
(٥)
الأخفش الأوسط ٢٠٨هـ
قطرب ٢٠٦هـ
(٦)
الجرمي ٢٢٥هـ
المازني ٢٤٩هـ
الرياشي ٢٥٧هـ
(٧)
المبرد ٢٨٥هـ بصرية
الرؤاس ١٨٧هـ
الهراء ١٨٧هـ
(٢)
الكسائي ١٩٨هـ
(٣)
الأحمر ١٩٤هـ
الفراء ٢٠٧هـ
اللحياني ٢٢٠هـ
(٤)
ابن سعدان ٢٣١هـ
الطوال ٢٤٣هـ
ابن السكيت ٢٤٤هـ
(٥)
ثعلب ٢٩١هـ كوفية
الطور الثاني
الطور الثالث

ثم جاءت في الطور الرابع المدرسة البغدادية، ثم الشامية، والمصرية، والأندلسية، ولم تكن هذه المدارس إلا امتدادًا لمدرستي البصرة والكوفة، وكل مدرسة من هذه المدارس لم تنشأ إلا عند توافر الأسباب والمناخات البيئية المناسبة من كل النواحي، وكان لهذه البيئات تأثيرها الظاهر على منهج كل منها في الدرس النحوي.

فانظر إلى أي مدىً وصل تأثير البيئة في علماء النحو ومدارسها، وكيف انعكس ذلك جليًا على الدرس النحوي عبر العصور؛ أخذًا، واستدلالاً، وتقعيدًا، وتأصيلا..

وقبل أن ننهي هذا البحث يود الباحث أن يطرح قضية مهمة تتعلق بالتأثير البيئي في الدرس اللغوي عمومًا، والنحوي على وجه الخصوص، هذه القضية تتعلق بدراسة اللغات أو اللهجات وفقًا لبيئاتها؛ بغية الوصول إلى قواعدها التي تبين – بصدق– درجة قربها أو بعدها عن اللغة الأم المشتركة، أو ما تسمى بلغة الاحتجاج.

فنسأل أنفسنا السؤال الذي قد يتبادر إلى ذهن كل من له اهتمام في مجال الدراسات اللغوية القديمة: هل من المفترض أن نقتصر في دراستنا على عصر الرواية، وعلى ما استطاع القدماء استنباطه من قواعد وأحكام، ونغفل التطور اللغوي منذ عصر الرواية عبر العصور المتلاحقة إلى عصرنا هذا ؟ أم أننا يجب أن ندرس هذه المرحلة دراسة وصفية كما ندرس غيرها من المراحل ولا نتقيد بعصور الاحتجاج ، فتكون هذه المرحلة إحدى مراحل التطور اللغوي الدائم والمستمر؟!

وليست الإجابة عن هذا السؤال بالسهلة؛ فإن عصر الرواية عصر لا نظير له؛ إذ يعد عصر اكتمال اللغة، ولم يحدث التهاوي اللغوي إلا في العصور اللاحقة – باستثناء بعض العصور التي ازدهرت فيها–؛ ولذلك فإن التحديد يوجب أن تُتَّخذ لغةُ ذلك العصر نموذجا يحتذى على مر الزمن. وحتى لا يطمع في التوفيق من لا يستح،

وحتى لا تفتح أبواب من البلاء وتمضي بها إلى الفناء. وهناك من يرى أن اللغة في تطور فهي ظاهرة اجتماعية و التطور أمر طبيعي فيها، وأن لكل عصر لغته المثالية التي تعد مخالفتها في ذلك العصر مخالفة للمألوف من منطوقة أم مكتوبة.

والباحث يقف من الرأيين موقفًا وسطاً؛ فيرى أنه يجب المحافظة على أصالة اللغة من جهة، ومراعاة حتمية التطور اللغوي- بحكم أن اللغة ظاهرة اجتماعية و التطور أمر طبيعي فيها- من جهة أخرى، فنرى إثبات هذا التطور شريطة ألا يخرج كليًا عن أصولها وقواعدها النحوية، ولعلي في هذه الرؤية أجاري بعض علماء اللغة المحدثين أمثال د.إبراهيم أنيس ،د.تمام حسان ،د.إبراهيم السامرائي ،د.عبد الغفار حامد هلال؛ الذين ألحظ اهتمامًا لافتًا من قبلهم مفاده أن تغير البيئة وتنوع طبقاتها هو الذي أدى إلى تعدد اللهجات العربية الحديثة في كل بلد على حدة ،بل وفي داخل البلد الواحد.

ونحن نلحظ اهتماما لافتاً من قبل بعض المحدثين أمثال "الدكتور/ إبراهيم أنيس"، و "الدكتور/ عبد الغفار حامد هلال"، و "الدكتور/ جورجي زيدان" ، "الدكتور/ علي عبد الواحد وافي"، وغيرهم ، - نلحظ اهتماماً في دراسة اللهجات وتطورها ومعرفة أسسها ومبادئها ودرجة قربها وبعدها من اللغة الأم بغية الوصول إلى وضع تقنين لغوي واضح لتلك اللهجات لإدراك مدى صلة ذلك بالتعليل النحوي وتوجيهه وكيفية الاستفادة منها في الاهتمام بالفصحى[٤٦].

[٤٦] انظر في ذلك: (أ) في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، ب) اللهجات العربية نشأة وتطورًا، ج) اللغة العربية كائن حي، د.جورجي زيدان، د) اللغة والمجتمع، د. علي عبد الواحد وافي)

« ولا ريب أن اللغة العربية تبقى متحدة في المجتمع الذي يتخذها أداة له إذا كانت حياته الإجتماعية والأرض التي يعيش عليها متحدة في أهدافها وعوامل تكوينها ،فإذا تغير شيء من ذلك كان إيذانا بانشعاب تلك اللغة إلى لهجات» [٤٧].

فيرى الباحث أن علماء النحو عندما حددوا قبائل بعينها، للاحتجاج بلغتها، وتقعيد النحو وفقًا لها- يرى أن في هذا التحديد والحصر تحجيرًا لواسع؛ فقبائل العرب كانت تعيش في بيئات متعددة، وبالتالي فقد اختلفت لهجاتها التي كانت تسمى "لغات" إلى عدة لهجات، كما هو حاصل في اللهجات المتعددة التي نجدها في البلد الواحد، التي لا تعدو كونها انعكاسًا للتعامل اللغوي، وطريقة الأداء اللفظي السائد في تلك البيئة، «فالأرض التي يعيش عليها البشر مختلفة، ففيها الجبال والسهول والوديان، وفيها الأراضي الزراعية والقاحلة، ومتى اختلفت البيئة الجغرافية فإن ذلك يؤدي إلى اختلاف اللغة»[٤٨]، ويؤكد هذا المعني "الدكتور/ محمد حماسة عبد اللطيف" قائلاً: «فتطور الدلالة اللغوية للكلمة ناشئ عن تأثيرات بيئية زمانية ومكانية، والتأثير الدلالي المميز ما هو إلا انعكاس للتجارب المباشرة ذات الطابع اللغوي، الذي يؤدي إلى نوع من الانتقائية اللفظية التي أنتجها التعامل اللغوي في إطار كل بيئة وفقاً للتفاوتات المكانية والتراثية والزمنية »[٤٩].

ومما يسند هذا الرأي أن القرآن الكريم، والحديث الشريف قد أقرا عمليًا بوجود هذه اللغات أو اللهجات؛ وذلك بورود صيغ خاصة بتلك اللهجات، وهي معروفة لا تحتاج إلى بيان أو توضيح، ولعل هذا يفسر لنا اهتمام بعض النحاة المتقدمين بأمر اللهجات والعناية بها؛ كـ"ابن جني" ، الذي «عدها حجة إذا كانت موافقة للقياس أو

٤٧ اللهجات العربية نشأة وتطوراً،د.عبد الغفار حامد هلال، الطبعة: الثانية (١٩٩٠م)، ص: (٤١).

٤٨ المرجع السابق، ص: (٤١).

٤٩ بناء الجملة العربية، د.محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب (القاهرة- مصر)، ط: (٢٠٠٣م)، ص:٧.

مخالفة له، فما وافقه قيس عليه، وما لم يوافقه حُفظ ولم يُقس عليه، وقد وضع تفصيل ذلك في " باب في اختلاف اللغات وكلها حجة "؛ وهو يعني بذلك جواز استعمال اللهجات جميعاً »[٥٠].

وكان ظهور اللهجات في كتب ابن جني ثمرة من ثمرات فكره وعلمه الغزير، ودقة ملاحظته، وإدراكه لمكان اللهجة من اللغة الأم، فقد درس اللغة وأبرز سماتها الخاصة وملامح جمالها وحيويتها وتوليدها واتساعها بمظاهرها المتعددة من الأصوات والاشتقاق والقياس والدلالة بما تشمله من معان متطورة أومتقابلة أو متلاقية، وكل ذلك له صلة باللهجات التي هي المصدر الوثيق لكل ما وضع من مبادئ وما أرسى من دعائم، وقد حرص دائماً على بيان هذه الصلة في دراسته لها.

أما النحاة المتأخرون فقد فطنوا إلى أهمية دراسة اللهجات في الدرس النحوي؛ فاهتموا باللهجات اهتماماً كبيراً؛ كـ"ابن مالك"، و"الرضي"، و"السيوطي".

على أنه لا بد لكل دارس للهجة أن يراعي أمورًا ضرورية أهمها:

١-اقامة الدراسة على أساس جغرافي بيئي محدد.
٢-الاعتماد على الجانب الوصفي؛ بمعنى أن يصف اللغة كما هي عليه لا على ما ينبغي أن تكون عليه.
٣- بيان الطبقة الاجتماعية التي يراد دراسة لهجتها؛ من عمال، أو فلاحين، أو صناع، أو مثقفين ...الخ.
٤- تحري نوعية من تؤخذ عنهم اللهجة بضرورة أن يكونوا من الناطقين بها، ممن يمكن أن يمثلوا اللهجة تمثيلاً طبيعيًا صحيحاً غير متكلّف.

٥٠ اللهجات العربية نشأة وتطوراً،مرجع سابق، ص: (١٠٩).

ونحن نعتقد -جازمين- أن البحث اللغوي بمفهومه الواسع ليس له حد يقف عنده وينتهي إليه؛ فاللغة بجوانبها المتعددة أشبه بطبقات الأرض، كلما كشفت عن طبقة، وحللت عناصرها المختلفة- ظهرت طبقة أخرى تليها مكونة من عناصر تحتاج إلى البحث والتحليل.

ثبت بأهم المراجع العربية:

١. الإيضاح في علل النحو، لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق مازن المبارك دار النفائس(بيروت- لبنان)، الطبعة الرابعة (١٩٨٢م).

٢. بناء الجملة العربية، د.محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب (القاهرة- مصر)، ط: (٢٠٠٣م).

٣. ابن جني النحوي، د.فاضل صالح السامرائي، دار عمار (عمان -الأردن) ط: (١) (٢٠٠٦م).

٤. الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، عالم الكتب (بيروت- لبنان، ط(٣) (١٩٨٣).

٥. الخصومة بين النحاة والشعراء(أسبابها وصورها)، د.محمد غالب عبد الرحمن وراق، (من منشورات نادي جازان الأدبي)، دار البلاد للطباعة والنشر (جدة)، الطبعة الأولى: (١٤١٩-١٩٩٩م).

٦. دروس في المذاهب النحوية، د.عبده الراجحي، دار النهضة العربية، (بيروت- لبنان) ط: ١٩٨٠م.

٧. دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتعقيدها، لطيفة إبراهيم النجار، دار البشير (عمّان)، ط: (١)(١٤١٤،١هـ-١٩٩٤م).

٨. دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة د. كمال بشر، مكتبة الشباب، ط: ١٠، سنة (١٩٨٦م).

٩. الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق/ محمد قميحة، (د.ت).

١٠.ظاهرة الإعراب في النحو العربي ،أحمد سليمان ياقوت ،ديوان المطبوعات الجامعية (الجزائر)،ط(١٩٨٣).

١١.العربية بين أمسها وحاضرها، د.ابراهيم السامرائي، طبعة وزارة الثقافة والفنون جمهورية العراق، دار الحرية للطباعة (بغداد) (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م).
١٢.علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط: ٤ سنة (١٩٩٣م).
١٣.علم اللغة -(مقدمة للقارئ العربي) محمود السعران،دار النهضة العربية - (بيروت -لبنان) (د.ت).
١٤.القياس في الدرس اللغوي ، بحث في المنهج /طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية (ط٢)الإسكندرية (١٩٩٢).
١٥.اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، د.أحمد محمد قدور، دار الفكر المعاصر (بيروت .دمشق)،الطبعة: الأولى (١٤٢٢-٢٠٠١م).
١٦.اللغة بين الوصفية والمعيارية،تمام حسان ،الأنجلو المصرية، ط: (١٩٥٨).
١٧.اللهجات العربية نشأة وتطوراً،د.عبد الغفار حامد هلال، الطبعة: الثانية (١٩٩٠م).
١٨.مباحث في اللغة العربية، د.عبد الستاد عبد اللطيف أحمد سعيد، منشورات الجامعة المفتوحة (طرابلس -ليبيا)،ط(٣)(١٩٩٦م).
١٩.المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للعلامة / عبد الرحمن بن جلال السيوطي، شرح وتعليق/ محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية (صيدا-بيروت)، ط(١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م).
٢٠.المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط /محمد سيد كيلاني، دار المعرفة (بيروت)(د.ت).
٢١.المفيد في المدارس النحوية ،إبراهيم عبود السامرائي ،عاصم للطباعة والنشر (الحديدة -اليمن) ط(١)(٢٠٠٣م).
٢٢.مصادر التراث النحوي ،محمود سليمان ياقوت ،كلية الآداب ،جامعة طنطا ،(٢٠٠٣م).

٢٣.مقدمة ابن خلدون ،ج١،(د.ت).
٢٤.النحو العربي، د. مازن المبارك، دار الفكر، ط: (٣)، (بيروت- لبنان) (١٩٨١م).
٢٥.نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ،الشيخ /محمد الطنطاوي ،ط(١) (القاهرة)(د.ت).
٢٦.النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري،تصحيح ومراجعة ،محمد الصباغ ،دار الفكر (د.ت).
٢٧.نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث /د.نهى الموسى/دار البشير (عمّان) الطبعة الثانية (١٤٠٨-١٩٧٨م).

مراجع أجنبية:

-J. R. Firth: Papers in Linguistics. P.184. London Oxford University. PRESS. .Amen House 1961 and 1964 ، Reprinted 1958 .First edition 1957

- R. H. Robins: A Short history of Linguistics. P. 213 Longman's Linguistics Library Green and Co LTD. Second impression 1969.